الفصل السَّابع

المغرب يؤذن, والعصافير هجعت تمامًا في أعشاشها بشجرة الكافور العملاقة, ولا وشيش, ولا نفس يصدر من الشَّجرة التي كانت تطن وتشقشق بالحياة؛ إلا ربما خفقة جناح, أو هسيس لعصفور صغير. ظلام القصر يُرهب "ياسين" من قبل حادثة مصرع "فايز" بزمن, وما أن يرتفع أذان المغرب, وتهمد شقشقات العصافير المؤنسة, حتى يلملم أشياءه, وسريعًا يهرب, ينطلق مباشرة إلى حجرتيه البائستين, بأعلى العمارة النَّائية.

وفيما يُوصد الباب الخارجي لبيت الجنايني, تجتاحه رعشة عنيفة من صوت يباغته, تسمره في موضعه:

- تترك قصرًا بهذه الأبهة, وتذهب لتنام في شقة قذرة؟!

ظل جسد "ياسين" يرتعد من فُجائية الصَّوت, ومكث صامتًا, يحاول السَّيطرة على أعصابه التي تفككت, وضربات قلبه التي تسارعت بكل القوة. هو لم يسمع البوابة الحديدية تُفتح, البوابة لها صرير يصم الأذان, يوقظ الغارق في النَّوم, فلم يعد أحدًا مهتمًا بصيانتها منذ زمن, ولا غيره في القصر ليفعل, و"فايز" لم يكن منتبهًا لمثل هذه الأمور, وهو بعقلية الخادم الَّذي يحتاج لمن يأمره لم يكن ليفعل من تلقاء نفسه.

قال "ياسين", وقد غزا صوته الأجش خوف وقلق, فخرج مشروخًا متحشرجًا, يدعو للضحك والشَّفقة في آن:

- كيف دخلت؟!

كان الشُّرطي الضَّخم منتصبًا أمامه بكرشه الممتد, يرفع القبعة ويهرش في صلعته.

هز الشُّرطي كتفيه المكتنزين بلا مبالاة:

- فتحت البوابة الكبيرة, ودخلت!

هز "ياسين" رأسه المشتعل بالشَّيب في غير اقتناع:

- لم أسمع صوتًا لقدومك!

ضحك الشُّرطي, هرش كرشه الضَّخم:

- هذا شأنك.

ارتفعت وتيرة الاضطراب في صوت "ياسين", يحاول التَّفرس في وجه الشُّرطي رغم العتمة الهابطة:

- جاري لم يرك عندما أتيتني المرة السَّابقة.

عاود الشُّرطي هز كتفيه, وهرش بطنه ثانية:

- مررت بجواره, ربما لم يرني بسبب الظَّلام.

واقترب من "ياسين" وضحك:

- هل تظنني شبح يا رجل؟!

باغت السُّؤال "ياسين", فقد كان هذا الهاجس ما يفكر فيه بالفعل. واجتاحته رعشة اصطكت لها أسنانه. تمتم:

- شبح! من جاء بسيرة الأشباح الآن!

طفرت ابتسامة خبيثة على شفتي الشُّرطي:

- أنت من قلت.

هز "ياسين" رأسه نفيًا:

- أنا لم أذكر كلمة الأشباح في حديثي!

- بشكل صريح نعم, ولكن فحوى حديثك يقول هذا.

أصاب الارتباك "ياسين", لكون الشُّرطي كشف ما في باطنه, فصمت, في حين استطرد الشُّرطي:

- أنا قادر على قراءة الأفكار!

يضحك:

- هذا جزء من طبيعة مهنتي.

يقترب من "ياسين" ويهمس:

- أنت تشك أنَّني أحد أشباح القصر.

فكر "ياسين" أن يُجهز على المخاوف التي تناوبته منذ الزِّيارة السَّابقة, ما دامت المكاشفة وصلت إلى هذا الحد, فقال:

- كان الجار يحمل كشافًا, ومستحيل ألا يراك!

خرج صوت الشُّرطي غير مكترث, يشيح بيديه:

- له العذر, رجل عجوز ضعيف البصر.

واتت "ياسين" دفقة شجاعة ليسأل:

- ولكن الدَّرج لا يحتمل إلا شخصًا واحدًا.

وأشار إلى كرش الشُّرطي الضَّخم, وقال:

- فكيف مررت دونما يحتك بك؟!

هرش الشُّرطي كرشه:

- كان مروري على متسع البسطة, حيث المكان أكثر براحًا, والكشاف كان قد انزلق من يده, فلم ينتبه لمروري فيما يستعيده من الأرض.

بدا "ياسين" غير مقتنع تمامًا, ولكنَّ الشُّرطي لم يمهله:

- كيف تترك القصر ليلًا, ألا تخاف أن يسطو عليه اللُّصوص؟!

ضم "ياسين" كتفيه النَّحيفين:

- أنا رجل مسن, ولو جاء لص, فماذا بمقدوري أن أفعل؟!

- ولكنك تتقاضى أجرًا على هذا, الوريث حتمًا سيغضب إن علم بالأمر!

- لقد أخبرت الوريث منذ اليوم الأول, وقلت له بالحرف, أنَّني لن أبيت ليلًا بالقصر!!

وتردد "ياسين" قليلًا, فيما يرمق القصر بنظرة مستريبة:

- وعامة لا أنصح أحدًا بالمبيت فيه!

طفح الاهتمام على وجه الشُّرطي, واندلق من عينيه وشدقيه الكبيرين, وهمس متسائلًا:

- لماذا؟!

أشاح "ياسين" بنظرة عن القصر الغارق في الظُّلمة والغموض:

- القصر يحمي نفسه!

- كيف؟!

مال "ياسين" إليه, وهمس, وكأنَّه يبوح بسر حربي:

- في زيارتك السَّابقة, قلت لي أنَّك أيضًا رأيت بأم عينيك!

هرش الشُّرطي صلعته يتذكر:

- تقصد المرأة منسدلة الشَّعر, قمرية الوجه؟!

نظر العجوز من حوله, وهمس:

- أنت وأنا نعلم أنَّها ليست امرأة!

مال الشُّرطي إليه, وهمس بدوره:

- تقصد شبح!

هز "ياسين" رأسه مؤكدًا:

- نعم! شبح!

ومال أكثر, وصار صوته أكثر خفوتًا:

- وأعرفها!

قطب الشُّرطي ما بين حاجبيه:

- من؟!

مال "ياسين" على أذنه:

- هذا شبح زوجة "فايز" التي قتلت ليلة الزَّفاف!

- ما اسمها؟!

- "مها"!

ظهر التَّأثر بشكل مفاجئ على وجه الشُّرطي, وكأنَّ صاعقة هبطت عليه:

- "مها"!

اربد وجه "ياسين":

- هل تعرفها؟!

أخذ الشُّرطي وقتًا يتملكه السُّهوم, وبدا عقله قد ذهب إلى أغوار سحيقة, قبل أن يهز رأسه نفيًا:

- لا!

أخذ العجوز شهيقًا:

- كان حادث مروع!

obeikandl.com

- ماذا حدث؟!
- انقلبت السَّيارة بهما, في طريق العودة بعد حفل الزِّفاف, وماتت "مها" ونجا "فايز". تقرير البحث الجنائي جاء, أنَّ الفرامل تلفت بفعل فاعل, قام الجاني بفعلته وقت الاحتفال بالقاعة.
- يا للهول!
- من ليلتها وحال القصر غير الحال!
- كيف؟!

طاف بصر "ياسين" حول القصر الَّذي كللته الظُّلمة تمامًا, وانفتحت طاقة زمنية, رجع خلالها إلى ذكريات غارقة في الحزن, قبل أن يعود للشُرطي الَّذي أمهله:

- كان شبحها يعود "فايز" ليلًا, بذات فستان الزِّفاف الَّذي كانت ترتديه, ويمكثا يتحادثان حتى حلول الصَّباح!

أشاح بيديه, مُغلقًا الفجوة الزَّمنية, طاردًا الذِّكريات, يعود ببصره ليواجه نظرات الشُّرطي المصلوبة عليه:

- في البداية ظننته جُن! حتى رأيت بأم عيني!
- تقصد المرأة مُنسدلة الشَّعر, التي رأيتها تنظر من شُرفة المكتبة؟!
- ليس مرة! بل مرات!
- مرات؟!
- رأيتها بأم عيني تُجالس "فايز" مساءً! ومن بعد مقتله رأيتها تنظر حيرى من شرفات القصر! كما المرة التي أخبرتك! لماذا تظنني لا أبيت في القصر مطلقًا!
- ولماذا لم تخبرني منذ البداية؟!
- كنت ستصفني بالجنون!

ارتفع نفير سيارة, تومض بلون أحمر مبهر, تقف أمام البوابة الحديدية الكبيرة.

قال "ياسين", فيما يتحرك مسرعًا قدر جهده:

- سأنظر القادم.

هرع إلى البوابة, فوجد سيارة شرطة يطل منها الشُّرطي مرحًا, ويقول بلهجة ودودة:

- كنت أمر فلمحتك, هل من جديد؟

***

وما بقي لي غير الوحدة والصَّمت, برفقة قلم وورقة مجازيين, ينوب عنهما الكمبيوتر المحمول خاصتي, عبر مفاتيحه الرَّقيقة أكُب ذاتي الموبوءة بالوجع, علها تغدو سحبًا بيضًا, كما قبل ولوجي بيت العناكب! أنا الآن أحيط علمًا بماهية الكتابة, ورسالتها الكبرى؛ الكتابة استمناء لوجع الحياة, كما العادة السِّرية استمناء لكبت الجنس, قد أوجدها الله رحمة للمقهورين أمثالي, من يُطلق عليهم للتخفيف والتَّسرية لقب "الكُتاب", وما هم بكاتبين إلا أوجاعهم وكبتهم! إنْ وَجَدَ المكبوت جنسيًا أنثى تُشبعه ما لجأ إلى الخيالات والتَّحايل, يتخلص بهما من طاقته المكبوتة, وإنْ تصالح الكاتبين مع الحياة ما سودوا ورقة, وما سُطرت كلمة في سجل الإنسانية.

ما ينغص علي وحدتي واستمتاعي بلحظات الاستمناء النَّفسي والفكري, ومن ثُمَّ الشَّحن بقوي جديدة تعين على المواصلة- هو طرقات العالم الخارجي, أكثر ما تقتحمني من "الموبيل", هو نقطة اتصالي مع العالم القميء, حيث المصنع والشَّركة وأمور لابد من البت فيها. يُخرجني إلحاح رنينه من دائرة أفكاري وأعاصير مشاعري, يجذبني من عالمي البعيد حيث أعيش كائنًا خرافيًا في عالم غرائبي! يقنصني من عليائي حيث السَّلام والدِّعة, ويعود بي إلى العالم المسمى "الواقع".

في الفترة التي تلت المعتقل, جاءني «حسام» يحمل حزنًا إضافيًا! ترجتني أمي ألا أقابله, سكبت التَّوسلات كي ألبى رغبتها, ولم يكن بمقدوري ألا أقابل صديقًا جاء بيتي. واقتعد «حسام» ذات الكرسي الَّذي جالستني فيه «طاهرة», ونهرتها أمي.

كان «حسام» يخب في جلباب أبيض فضفاض قصير, وقد نمت لحيته, فبدا ظاهره منسجمًا مع أفكاره! «إسلامي» خالص في تعبيرات وجهه, والصَّرامة في عينيه, وخطواته المستقيمة المشدودة, كأنَّه في عرض عسكري مشهود! لم يحد

بصره عن وجهي, غير عابئ لنظرات أمي التي رمقته مليًا بغيظ وغضب قبل أن تغادر المكان مغصوبة لإرادتي. لم أنهض لاستقباله, الوهن يسلبني القدرة على الحركة, فانكب علي بإخلاص وعاطفة صادقة جياشة طفرت من عينيه, واحتضنني وقبلني, وهمس:

- كيف حالك؟

أجبت بنفس الطَّريقة المتماسكة ظاهرًا, المتداعية باطنًا:

- أحمد اللَّه!

نظر كثيرًا على غير عادته إلى الشَّمس, في طريقها للغروب, فعلمت أنَّ في الأفق شيء, من طبيعته الانطلاق كالسَّيل, يعلم وجهته؛ فقلت وجلًا وقد اعتراني بعض قلق:

- هات ما لديك يا «حسام»!

ابتسم ابتسامة شاحبة, ثُمَّ صمت لوهلة إضافية, ثُمَّ تنهد, ثُمَّ انطلق:

- هل زارك أحدٌ من الحزب؟!

سؤال لم أفكر فيه! حالتي المزرية أكبر من التَّفكير في شيء, حتى في هذا الأمر الَّذي من المفترض أن يخطر ببالي بمجرد الاستيقاظ من غفوتي! ويبدو أنني ما زلت ساقطًا في الغفوة, وحسام هو الَّذي بالكاد يوقظني الآن!

هززت رأسي بالنَّفي وصمت!

حرك شفتيه إلى أكثر الزَّوايا امتعاضًا, وقال:

- سفلة!

تمتمت بلا رغبة في معرفة ما يسوء:

- ماذا هناك يا «حسام»؟!

انطلق «حسام» كما أعرفه هذه المرة:

- رجال من قش رجال حزبك يا صديقي! مجرد شعارات رنانة يختفون ورائها! وعند أول صفير لخطر يركضون فئرانًا مذعورة! هم وجرذان السُّفن سواء!

أنمال الانتباه تسري في بدني, وتحسس عقلي النَّاعس كارثة زلزالية في الطَّريق! قلت بصوت مختنق:

- باللَّه عليك لا أحتمل! هات ما لديك دُفعة واحدة!

رمقني «حسام» بنظرة بدت بلا نهاية, ثُمَّ شد على يدي وفجَّر القنبلة:

- لقد فصلوك من الحزب يا «فايز»! صدر قرار فصلك في ذات اللَّيلة التي تم فيها القبض عليك!

لا أعلم كُنَّه ما اعتراني بالضَّبط, بُهِتُ وتَسمرت نظراتي, لا أتكلم, إنسان آلي بلا مشاعر أو ردود فعل, ما قال «حسام» أكبر من أسوأ توقعاتي.

أردف «حسام»:

- تم استدعاء الكثيرين إلى أمن الدَّولة, بداية من رئيس الحزب ونائبيه, مرورًا بأعضاء الهيئة العليا للحزب, والمكتب التَّنفيذي, ولجنة السَّياسات!!

وصمت «حسام», أظنه يتأكد من انتباهي, قبل أن يميل تجاهي ملقيًا بباقي سيل الحمم في أذني المرهفتين:

- وما توارد إلينا؛ أنَّ جميعهم تنصل من الأمر! وأنكروا معرفتهم بأحد من «الجماعة»! أو أنَّهم اجتمعوا معها! وأنَّك وحدك من تحرض شباب الحزب على فكرة الاندماج والتَّلاقي مع «الجماعة»!

صَمَتُّ مليًا, أحاول استيعاب ما اخترقني سهامًا مسمومة! قلت بصوت فاتر خالي من الحياة:

- لم أنبس بكلمة تُدين أحدًا! لقد تحملت الأمر برمته على كاهلي!

ربت «حسام» على كتفي, وقال:

- لو تكلمت, لكان صديقك نزيل المعتقل الآن.

تابع «حسام» الشمس تستعد للسقوط في الهوة الأزلية, قبلما يستطرد متابعًا حديثه:

- الأمن لم يصمت, واعتقل الكثيرين منا, ولكنه كان متخبطًا, يعتقل بشكل عشوائي؛ للترهيب وبث الرُّعب لا أكثر.

وجلجل صوته بالضَّحك استخفافًا, وأردف:

- والأمن كثيرًا ما يفعل بلا سبب.

سألت:

- ومن أخبرك بأمر الحزب؟!

رفع «حسام» سبابته إلى فمه, وهمس بشكل واثق:

- نحن نعلم دبة النَّملة في هذا البلد.

ابتسمت ابتسامة شاحبة, وقلت:

- واثق إلى هذه الدَّرجة!

بدا عليه الإشفاق من حالي:

- تمام الثِّقة يا صديقي! لقد فعلوا ذلك ليثبتوا للأمن حُسن النَّوايا! وأنَّهم على الطَّريق الَّذي تريده السُّلطة سائرون!

- كنت أعيش في وهم!

ربت «حسام» على كتفي:

- وهم كبير! ولكنَّك استيقظت منه!

- بصفعة كبيرة!

- نحمد الله أنَّها لم تقتلك! وأنَّك خرجت سالمًا!

وأمسك يدي وشد عليها:

- كان من الممكن ألا تخرج مطلقًا!

وصمت؛ فبدا لي أنَّ ثمَّة جديد في الطَّريق. وتكلم «حسام»:

- والآن أريدك في الأمر الأهم!

همست:

- كُلي أذان صاغية!

مد «حسام» يده وألقى القنبلة الثَّانية:

- «الجماعة» تريدك!

تمالكت نفسي كي لا أضحك, كي لا أستلقي على قفاي من الضَّحك! وشبت داخلي نيران تساؤل, هو الآخر يحتاج إجابة: «وهل يقدر كارل ماركس أن يرتدي جلبابًا قصيرًا؟!» وكدت أطرح تساؤلي أمامه, بيد أنَّني صمت!

على يدي «حسام» انفتحت أوجاع الذَّاكرة! قوة لعينة تقذف بدلو الحاضر إلى جب الماضي ليمتلئ بماء الذِّكرى المؤلمة! أصوات شريرة قادمة من الجب

السَّحيق تقتحمني رغم كل المقاومة؛ الكلمة تلسع كما سوط, والنَّظرة مخراز في البدن. صرت أغبط المتسامحين وقد كنت منهم, أولئك الذين يدلقون ماء التَّسامح في نفوسهم؛ فيزيلوا ما علق بها من كدر, وما يترتب من حزن, وتغدو ذاكرتهم سحبًا بيضًا بلا غمامة ثعبانية تنفث الكراهية والمقت.

سنوات ولم أشف من عذابات الذِّكرى, أنا صفر الذَّاكرة فيما مضى, قبل مروري ببيت العناكب وتنصل الرِّفاق لي, أنا الَّذي كنت شمسًا تدور من حوله الكويكبات. الآن أستشعر طاقة الشَّركامنة, أحذر يوم الانفجار, أجتهد في كتم فوهة نفسي على ما بها من حمم تغلي وتتصاعد! الآن أعلم أنَّ الأشرار أقل ضغطًا ومعاناة, فالشَّرينفث جام غضبه أولًا بأول.

وتجتاحني رغبة الانتقام؛ أن أركب سيارتي وأدوس أعضاء الحزب المهرجين المتأنقين بعد اجتماعاتهم المضحكة تحت قبة البرلمان, في تمثيليتهم الهزلية, التي ما تبدأ ذات البداية حتى تنتهي نفس النِّهاية, في دورة أزلية ملعونة. أن أشتري بندقية قنص وأدور عليهم أقنصهم كما أفلام الغرب!

هذا الضَّابط, هذا الشَّر المجسم الَّذي ذبح إنسانيتي في بيت العناكب, أريد أن أجز رقبته في المقابل, أن أقتص لذاتي الرَّهيفة, لمقاومتي التي تلذذ في متابعتها تتهاوى.

جُب الماضي اللَّعين لابد لي من الخروج منه! أرغب في الهجوع, في السَّكينة, في العودة لذاتي البيضاء, في التَّخلص من روح الشَّر التي تتلبسني! لست أنا من يرتدي الأقنعة, لست أنا من يقدر أن يعيش بوجهين!! «فهل أحقق الانتقام لأخلُص من حالتي البندولية بين نفسي التي كنت ونفسي التي صارت؟!» ولكنني لا أقدر, لا أقدر على الانتقام, المسالمة قدري, والدِّعة هي الطَّريق الَّذي لا أعلم سواه.

***

- أستاذ «فايز».

تنتبه على صوت «عطية» فراش الشَّركة يناديك. تجلس مواجهًا النَّافذة, صنم مشرع العينين, مذموم الشَّفتين, متصلب الملامح, بلا طيف حياة يعتريك, ولا نفس يخرق سكون الموات الجاثم المحلق! قوة سُلطوية مجهولة

تُرغمك على النَّكت في الجرح القديم, محنة المعتقل ولياليه المدلهمة, الجرح الغائر في حياتك, النَّافذ في أعماق القلب! الذَّاكرة طامتك الكبرى, توجعك, تلسعك, تنفلت من قبضة إرادتك الهشة, تسترسل من تلقاء نفسها, فتقذف بك إلى دوامات الألم! تستجدي عزيمتك الواهنة, تقاوم, تتشبث بقشة من أرض الواقع؛ عساك لا تنفلت, ولا يجرفك عنفوان التَّيار الدَّامي, فلا تنكب في مستنقع الأوحال! يُراودك خاطر أنَّك قد لا تفلح في العودة ذات مرة, أثناء إبحارك الغير مأمون العواقب في بحر الذَّاكرة الأهوج! تخاف أن يهبط عليك ملك الموت هناك, فيقبضك, وأنت عالق على حالتك تلك, مغروزحتى ركبتيك!

«الانصياع لكابوس الماضي, يستنزف الرَّوح والبدن, فقاوم, ولا تنجرف! انفلت من براثن الأزمة, واصنع حلمًا للمستقبل» نصيحة بالكاد تخترق وعيك, يحدثك بها من حولك, بيد أنَّها عصية المنال, تراها مزحة تدعو للضحك! تريد أن تصرخ: «من على الشَّط آمن, لا يدري مأزق من تلاطمه الأمواج, بحالته البندولية, بين الموت والحياة! شهيق هنا وزفير هناك! والأعصاب ترتخي, والقلب يهمد, فأنى لمثل هذا أن يمتلك إرادة لينجو»

محنة المعتقل أكبر من أن تُنسى, وما تلاها من توابع زلزالية لا يريد أن ينمحي, وطوال عام وأنت لا تبرح شركتك, هي مدينة الضَّجيج التي تلوذ بها من وجيب القلب, تأتي صباحًا وتذهب مساء, ولا تفعل أكثر من هذا! المخلصون في الشَّركة هم من يديرون الأمر, والأم «جيهان» من بعيد تتابع, تترصَّد حركة العمل بعين نافذة البصيرة, لا تفوتها فائتة, أما أنت فضيف شرف, تأتي وتذهب بلا تأثير فعلي, وهذا في ذاته إنجاز كبير, وأنت الَّذي خرجت من شرنقة, ظن من يعلم رهافتك أنَّك مقبور بها!

دلفت المكتب من نحو ساعة, اقتعدت الكرسي الوثير خلف المكتب الفخم, بنفس الهيئة التي ما زلت عليها الآن. رشفت قدح القهوة السَّادة الَّذي أحضره لك «عطية» كروتين يومي. وفيما تأثير القهوة يواصل الصُّعود إلى ناصية الرَّأس, يستثير خلايا التَّنبيه الغارقة في السُّبات, كان الأمر يسير على غير ما تريد, كان الدَّبيب الخفي اللَّعين يُجردك من حضورك, والأنامل الشَّيطانية تستلب إرادتك, وسرعان ما غزاك الهم, وتملك روحك وفؤادك! تشعر بقوة

جبارة تزج بك إلى هناك, إلى حيث المعتقل, والقبو, والوجوه العكرة. عيناك مبحلقتان, خاليتان من الحياة, أنفاسك بطيئة ثقيلة, بهجة الشَّمس وروعة المشهد المطلان عليك من النَّافذة لم يجديا معك نفعًا, فيرحماك من ديمومة انسحاقك.

الحياة برمتها لم تعد ترى لها نفعًا, الانكسار الَّذي لحق بك أكبر من طاقتك لتحتمل! لتنتفض صانعًا صيرورة جديدة غير تلك التي انقطع منها الرَّجاء! أن تعيد حساباتك فاتحًا صفحة جديدة, بخلاف التي تهرأت ومارست عليها الأيام العصيبة والأحداث المتلاحقة شتى أنواع العهروالهتك لكل ما هو إنساني بداخلك!!

ورغم نكبة المعتقل, وما لحق بك من جراء لياليه المدلهمة, فهو ليس وحده سبب البلاء, ولكنَّ حالة التَّخبط وعدم الفهم التي عصفت بك وهاجمتك من بعد! موقف الحزب منك, أصدقاؤك, نكوص الجميع من حولك! وأنت الَّذي صمت لم تفه بكلمة!

أفكارك الإنسانية النَّبيلة, وقد تَكَشفَ لروحك البريئة مدى سذاجتها في دنيا يصنعها ويشكلها الأقوياء! والأقوياء فقط!

تَكَشَفَ لك؛ أنَّ الفكرة تستمد صلابتها من صلابة صاحبها, وإن كانت في الأصل تافهة ساذجة, أو حتى حقيرة مبتذلة! ومن هنا فقط, شيد الأقوياء الدُّنيا بأسوارها الشَّاهقة, وأرسوا حياة تليق بهم وحدهم, ولا تعتد بمن سواهم! ومن دونهم من البشر, فخدم وعبيد قصورهم وشركاتهم ومصانعهم, يرضخون ويأتمرون بأمرهم! وإن بدا المعنى مجازي, في زمن الحرية ظاهرًا, فهو حقيقة راسخة بقدمين ثابتتين على الأرض! ويد التَّغيير لما هو كائن تُبتر على الفور, وبلا رحمة, فما سطره الأقوياء كتاب مقدس, قضي فيه الأمر, ولا مجال للتعديل فيه.

كنت تَعُد نفسك من السَّادة, ومن الأقوياء! كم كنت واهمًا يا صاح! صناع الحياة الأقوياء, ليس لديهم مثل هذا القلب الرَّهيف الكامن بين ضلوعك, هم يمتلكون مضخة قوية لدفع الدَّم ليس أكثر! ظننت أنَّك بقلبك الرَّقيق تقدر أن تمتشق «حسام» التَّغيير, وترفع نير الظُّلم عن رقاب العباد! مسكين

حقًا! فما كان منهم إلا أن هشموك, يدافعون بكل القسوة عن كتابهم المقدس وبنيانهم المشيد. وها حقائق الحياة تتوالى عليك تباعًا بالدُّروس القاسية, تعيد صياغتك, وترمم أفكارك بمفاهيم جديدة! وكانت النَّتيجة أنَّك بت هنا ولست هنا, سلبيًا كما لم تكن أبدًا, محبطًا مثل «سيزيف», بلا انفراجه عن حمل الصَّخرة وصعود الجبل! وأنت لا انفراجه أمامك عن عيش حياة لم تعد ترغبها.

أجبت «عطية» بعد صمت طال, تجذب نفسك جذبًا من دروب متاهة أفكارك المأسوية: «نعم يا عم «عطية»»

- آنسة تدعى «مها» تطلب مقابلتك.
- «مها» من؟!
- تقول أنَّ لديها موعد بخصوص التَّعين بالشَّركة.

فجأة تتذكر وصية أحد الأصدقاء بشأن تعين قريبته الشَّابة: «نعم, تذكرت, دعها تدخل»

وخطت «مها» بفستانها الأرجواني. طلتها بهية, وجهها قمري, وشعرها أسود مدلهم منسدل.

«أجدك أُخذت يا «فايز», وريح وعي سحرية تلفحك, تقنصك من أسفل سافلين, وتطفو بك إلى سطح الحياة مجددًا.

وجهك هذا يا «مها» لا يخفى علي, جمالك الفتان القمري, شعرك النَّاعم المنسدل! تأكدت الآن أنَّك من كنت تطلين من شرفة المكتبة!»